السيرورة النفسوصدمية للمراهقة المغتصبة – دراسة حالة–

The psychological traumatic process of a raped adolescent - a case study -

رزيقة بوشارب[1] ، عبد الناصر سناني[2]

[1] جامعة 8 ماي 1945 قالمة، مخبر البحث في العلوم الإجتماعية سكيكدة (الجزائر)، bouchareb.razika@univ-guelma.dz

[2] جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، psychologie78@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/18 تاريخ القبول: 2021/01/07 تاريخ النشر: 2022/06/11

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على التغيرات التي تحدث على نفسية المراهقة بعد صدمة الاغتصاب و المعيش النفسو صدمي لها، معتمدين في ذلك على المقابلة نصف موجهة و استبيان traumaq كأدوات بحث على حالة تبلغ من العمر 15 سنة، حيث كانت النتائج على النحو التالي: ظهور تناذر الإجهاد ما بعد الصدمة شديد، مصحوب ببعض الأعراض اللانمطية متعلقة بالمجال الدراسي و العلائقي حيث أصبحت الحالة تميل إلى العزلة و الانطواء مما أثر على تحصيلها الدراسي.

الكلمات المفتاحية: المراهقة– الاغتصاب– الصدمة النفسية – الإجهاد ما بعد الصدمة.

Abstract:

This study aims to define traumatic psychological living, relying on the semi-directed interview and the traumaq test as research tools on a 15-year-old case where the results were as follows: The emergence of a severe post-traumatic stress syndrome, accompanied by some atypical symptoms related to the field of study and Relational, where the situation tends to be isolated and introverted, which affected her academic achievement.

Key words: adolescence, rape, trauma, post-traumatic stress.

المؤلف المرسل: رزيقة بوشارب، **الإيميل:** bouchareb.razika@univ-guelma.dz

1. مقدمة:

يعيش الفرد في حياته اليومية الكثير من المواقف و الأحداث، منها ما هو مسعد و إيجابي يساعد على بلوغ الصحة النفسية، و منها ما هو محزن و سلبي يدمر نفسية الفرد، و هذه الأخيرة أنواع فهناك ما يحدث خارج نطاق الفرد مثل الكوارث الطبيعية (إعصار. زلزال. فيضان...) و الصناعية، و منها ما يفتعله المورد البشري كالعنف و سوء المعاملة بكل أنواعها، و لعل أخطر أنواع العنف، العنف الجنسي حيث يمس كرامة و شرف الإنسان، و من أبشع هذه الجرائم الاغتصاب: نعني به الممارسة الجنسية بالقوة و الغصب، فحسب إحصائيات المعهد الوطني للشرطة الجنائية الجزائرية هناك 600 حالة خلال الأربع أشهر الأخيرة من سنة 2017 تعرضت للاعتداء الجنسي، فهذه الأفعال تجعل الضحية تعيش في دوامة من الأعراض الجسدية، الجنسية و النفسية، مما قد يخلف عندها تنادر نفسو صدمي و عليه: ما هي الآثار النفسية الصدمية على ضحية الاغتصاب؟، كيف تكون السيرورة النفسية الصدمية للمراهقة المغتصبة؟ و من هنا ارتأينا التطرق لهذا الموضوع بهدف التعرف على السيرورة النفسية للضحية المغتصبة، التعرف على الآثار الصدمية للضحية المغتصبة بالاعتماد على المقابلة نصف موجهة و استبيان traumaq كأدوات جمع المعلومات.

2. الجانب النظري:

1.2 ماهية مرحلة المراهقة:

هي الفترة الممتدة ما بين البلوغ و الوصول إلى النضج، حيث يسير نحو نضج كامل على المستوى الجسمي، العقلي، الانفعالي، الاجتماعي، و تتميز هذه المرحلة بـ:

- النضج الجنسي: فالمراهق ينتقل من الاهتمام بأعضاء من نفس الجنس إلى الاهتمام بالجنس الآخر، و من الوعي الكامل بالنمو الجنسي إلى قبول التغيرات الجنسية.
- النضج الاجتماعي: حيث يتحرر المراهق من التقليد المباشر للآخرين إلى الاعتماد على الذات و تحمل المسؤولية.
- النضج العقلي: ينتقل المراهق من القبول الأعمى للحقيقة إلى البحث عن الدلائل و التفسيرات لها.

- النضج الانفعالي: حيث يصبح المراهق قادر على تعبير عن انفعالاته و مستقل انفعاليا عن الوالدين و الأصدقاء.

2.2 السيرورة النفسية الصدمية للمراهقة ضحية الاغتصاب:

2.2. 1 مراحل الصدمة النفسية:

حسب l.crocq هناك مراحل يمر بها الفرد المتعرض للصدمة وهي :

* **المرحلة المباشرة :la phase immediate** وتضم الاستجابات المباشرة للفرد اتجاه الحادث الصادم الذي تعرض له، وهذا ما يعرف بالإجهاد le stress أو ما أطلق عليه التصنيف العالمي لأمراض العقلية cim 10 "استجابة حادة لعامل مجهد reaction aiguë à un facteur de stress" . (crocq l. , 2012, p. 34)

و يظهر في شكلين مكيف وغير مكيف، حسب الاستعداد الفردي والحالة النفسية للفرد آنذاك إلى غير ذلك من العوامل، ويكون رد فعل الإجهاد وقتي من ساعات إلى 24 ساعة كأقصى تقدير يزول بزوال الحادث الصدمي.

* **المرحلة بعد المباشرة أو مرحلة الكمون: la phase de ladence**

هي الوقت بين رد فعل الإجهاد وظهور أعراض التناذر النفسي صدمي، وتعتبر المدة المطلوبة من طرف النفسية لوضع الدفعات جديدة بعد ذلك العنف الذي تعرض له وسبب فيض من الإثارة في الجهاز النفسي .

حيث يمكن أن تكون صامتة كليا دون أي عرض نفسي أو جسمي، فالضحية يحس خلالها بالارتياح.

كما يمكن أن نلاحظ أحيانا تفريغات انفعالية: دموع، أزمة هياج حركي، وهذا ما سماه " كروك crocq " (رد فعل متأخر reaction différe أو abréaction).

(crocq l. , 2012, p. 50)

* **المرحلة المزمنة la phase chronique : أو التناذر النفسو صدمي:**

بعد زوال ردود فعل الإجهاد وتطور الصدمة يمكن أن تأخذ عدة اتجاهات إمّا أن يعيش الفرد حياة طبيعية بعد وقت معين دون أعراض، وإمّا أن تظهر أعراض ما بعد الصدمية لأيام أو شهور بعد المرحلة المباشرة، وهذا ما سميّ عند بعض العلماء بالعصاب الصدمي

أو ما يسمى في الجداول الإكلينيكية DSM5 باضطراب الإجهاد ما بعد الصدمة PTSDو بحالة الإجهاد ما بعد الصدمةESPT في CIM 10.

و يعد اضطراب الإجهاد ما بعد الصدمة PTSD اضطراب قلق ينتج عن واقعة ضاغطة غير مألوفة كالتعرض لاعتداء أو تهجم واغتصاب أو لمشاركة في معركة حربية...،ويتسم هذا الاضطراب بما يلي:

- ذكريات مؤلمة وأحلام متكررة وكوابيس للخبرة الصادمة.
- الأرق واضطرابات النوم والصعوبة في التركيز والتذكر.
- الإحساس بالإثم (شعور بالذنب)، تجنب الأنشطة التي تذكره بالواقعة الصادمة.

(غانم و آخرون، 2011، ص. 190)

كما أن أعراض هذا الاضطراب صنفت في الجدول الإحصائي لتصنيف الاضطرابات العقلية DSM و CIM إلى 04 معايير مهمة وهي:

A/ الحادث الصدمي

B/ إعادة المعايشة.

C/ التجنب

D/ الاستجابات النور إعاشية (kédia & autres, 2008, p. 23)

2.2.2 . خصوصية صدمة الاغتصاب في فترة المراهقة:

تشمل الصورة السريرية للصدمة عند المراهقين مظاهر إحياء الصدمة و التجنب و الاستجابات النور اعاشية مثله مثل الراشدين، (crocq & autres, 2007, p. 57)، لكن هناك استجابات خاصة تظهر على المراهقين، ترتبط عموما بنوع الحدث و باختلاف أفكارهم و مشاعرهم و انفعالاتهم، فمن الطبيعي جدا التفاعل بأشكال مختلفة مع الأحداث التي يمكن أن يتعرضوا لها، غير أن صدمة الاغتصاب تعد من أصعب الصدمات التي تتعرض لها المراهقة لخصوصية المرحلة التي تعيشها، فقد بينت الدراسات العالمية أن 50% يطورون إجهاد ما بعد الصدمة كما تظهر عليهم بعض الاستجابات الخاصة منها:

- سلوكات عدوانية ذاتية (تشويه وتعذيب ذاتي).
- سلوكات عدوانية موجهة نحو الغير.
- الجسدنة (تظاهرات جسدية)

- فقدان الثقة في الكبار.
- صعوبة في التركيز.
- الهروب من المدرسة.
- الانطواء.
- السلوك الانتحاري في كثير من الأحيان يكون سببه الشعور بالذنب (سلوك العقاب الذاتي)
- تناول المخدرات والكحول.
- الدخول في عالم الجريمة.
- اضطرابات الجنسية.
- الشعور بالدونية و العار.
- اضطرابات التغذية.
- و غالبا ما ينتج عن هذه الأحداث الشعور بالوصم و الخجل، حيث تبين أن أكثر من 50% من المتعرضين للاعتداءات الجنسية لم يقوموا بإبلاغ الشرطة لشعورهم بالخجل و أنهم وصمة عار (شيلا، 2019، ص. 33)

3.الجانب الميداني:

1.3. التذكير بأهداف الدراسة:

- معرفة أثار الاغتصاب
- تعرف على السيرورة النفسية للضحية المغتصبة
- التعرف على الأعراض الصدمية للضحية المغتصبة.

2.3. الحدود المكانية و الزمانية للدراسة:

تمت الدراسة الميدانية بمتوسطة عواد زيدان سكيكدة في الفترة الممتدة من مارس 2019 إلى نوفمبر 2019 بمكتب مستشارة التوجيه و الإرشاد المدرسي و المهني على حالة تبلغ من العمر 15 سنة.

3.3 منهج الدراسة:

في هذه الدراسة اعتمدنا على المنهج الإكلينيكي لأنه يخدم الموضوع المراد دراسته، وهذا المنهج يعتمد على تشخيص حالة الفرد بالاعتماد على تقنيات من بينها دراسة حالة و التي تعتبر: نوع من البحث المتعمق عن العوامل المعقدة للحالة المدروسة، و ذلك باستخدام عدة أدوات لجمع البيانات

3. 4 أدوات جمع المعلومات:

لقد اعتمدنا في دراستنا على:

المقابلة: يمكن تعريفها على أنها:

" هي وسيلة لجمع البيانات و المعلومات عن الفرد بحيث يستخدمها في وصف الفرد واتخاذ القرارات المناسبة بالنسبة له". (شحاتة، 2009، ص. 409) و في هذه الدراسة تم اعتماد المقابلة نصف موجهة.

الاختبار النفسي: فالاختبار هو محك أو عملية يتم اللجوء إليها لبلوغ معلومات معينة قد لا تكشف عنها الوسائل الأخرى (الملاحظة، المقابلة).

ونحن في دراستنا اعتمدنا على استبيان " TRAUMAQ" " ترومالك" وهو من إنشاء (MARIA PERIERA–FRADIN/ CAROLE DAMIANI) و يقيس الصدمة النفسية، كما يقيم أيضا الأعراض غير النوعية مثل الاكتئاب، السلوكات العدوانية، التظاهرات الجسدية، بمعنى يكشف عن المعيش الصدمي و كل الانعكاسات التي طرأت على نفسية الفرد بعد الصدمة التي تعرض لها، يتكون هذا الاختبار من بنود مقسمة إلى فئات من A حتىj كالتالي:

A يتكون من 8 بنود تدور حول ردود الفعل الفورية أثناء الحدث

B يتكون من 4 بنود موضوعها إعادة الإحياء أو المعايشة

C يتكون من 5 بنود حول اضطرابات النوم

D يتكون من 5 بنود خاصة بالتجنبات، القلق و الخوف

E يتكون من 6 بنود حول سرعة الاستثارة و فرط اليقظة

F يتكون من 5 بنود تتمحور حول ردود الفعل النفسية و الجسمية و اضطرابات السلوكية (الادمان)

G يتكون من 3 بنود تخص الاضطرابات المعرفية

H يتكون من 8 بنود تتمحور حول الأعراض الاكتئابية (الانسحاب، فقدان الطاقة، اللامبالاة)

I يتكون من 7 بنود تتمحور حول اختلال تقدير الذات، الشعور بالذنب و العار

J يتكون من 11 بند يتمحور حول جودة الحياة

ويجيب عليها المفحوص حسب شدتها عليه، و تنقط من 0 حتى 3 نقاط كالتالي:

0 منعدمة، 1 ضعيفة، 2 شديدة، 3 شديدة جدا، بالاستثناء السلم J الذي يجيب عنه الحالة بنعم أو لا.

الخصائص السيكومترية لأداة: تم حساب الثبات الداخلي للاستبيان حسب الارتباط المتوسط للبنود أو تظاهرات السلم و كذلك حسب معامل ألفا كرونباخ بالاستثناء السلم الثنائي j، تبين أن الثبات الداخلي للسلالم و الاختبار معتبر، كما تم التأكد من الصدق الخارجي للاستبان و ذلك من خلال علامة سلم تقييم الصدمة للباحثين weiss et marmar1996 لتكرار استخدامه في ميدان الصدمة النفسية و لمميزاته القياسية النفسية، كما طلب تقييم إكلينيكي لأفراد تعرضوا لأحداث صدمية من خلال مقابلات إكلينيكية، و هنا تم اقتراح سلم خماسي لتقييم شدة الصدمة، كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول 1: تقييم شدة الصدمة النفسية

الأصناف	1	2	3	4	5
النقاط الإجمالية	23-0	54-24	89-55	114-90	115فما فوق
التفسير العيادي	غياب الصدمة	صدمة خفيفة	صدمة متوسطة	صدمة شديدة	صدمة شديدة جدا

(عروج، 2016-2017، ص. 155-156)

و يتم تمثيل النتائج في منحنى بياني يوضح بروفيل الحالة و مدي شدة الصدمة و الأعراض المصاحبة لها.

5.3. عرض الحالة:

1.5.3. المعلومات الشخصية:

نادين فتاة تبلغ من العمر 15 سنة، تدرس سنة الرابعة متوسط، تعاني من مرض الربو، من أبوين بيولوجيان مجهولان، تبنتها عائلة ميسورة الحالة، أم ماكثة بالبيت، و أب عامل بمصنع لإنتاج المربى و العصير، يقطنون في سكن مع العائلة الموسعة تتكون من الجد و الجدة و عم أعزب يبلغ من العمر 45 سنة.

2.5.3. عرض وقائع الحدث الصدمي (الإغتصاب):

تقول نادين أنها كانت تعيش مع والديها و لم تحس يوما أنها ليست ابنتهم فهم يوفرون لها كل متطلباتها، ففي الفاتح من جانفي 2019 تقول نادين أنها كانت وحدها في المنزل لأن والداها و جداها ذهبوا لجنازة في مكان بعيد نوعا ما عن مقر سكناهم، فدخل عمها و بدا يقترب منها و يغازلها و تقول: "يضع يدي على قلبه و يقول لي " قلبي يرعش عليك" فنهضت بسرعة إلى الغرفة، لكن الباب لم يكن يغلق بالمفتاح فلحقني و بدأ يلمسني و أنا أصرخ، و من شدة الخوف لم أكن أسمع ما يقول سوى "أنت أصلا ملقطه ماش من دمنا"، إلى أن نال مني و فعل فعلته و هددني أن لا أخبر أحدا و إلا سيقتلني و سيخبر جميع صديقاتي أنني لقيطة".

كما تقول أيضا أنها في تلك الأثناء كانت تشعر و كأنها تقف هناك بعيدا و تشاهد في هذا المنظر، و تضيف أنها أحست أنها مقيدة و لم تستطع فعل شيء، و أن كل شيء توقف في تلك اللحظة، و بعد مغادرته قالت أنها أجهشت بالبكاء و أصابها هلع كبير من الدماء التي كانت تسيل منها، و أحسست بأنها فتاة متسخة.

كما صرحت أنها في تلك الأثناء لم تعرف ماذا تفعل أو أين تتوجه، فالخوف كان يمتلكها فبقيت على هذا الوضع إلا أن عادت والدتها. و تقول أنها من شدة الخوف غابت عنها الكلمات و لم تستطع التكلم مع والدتها، و أن أمها قامت بتهدئتها و محاولة معرفة ماذا حدث؟ و من الفاعل؟

3.5.3. عرض نتائج استبيان traumaq:

الشكل (1): Profil A : syndrome psycho traumatique intense(تناذر نفسو صدمي شديد)

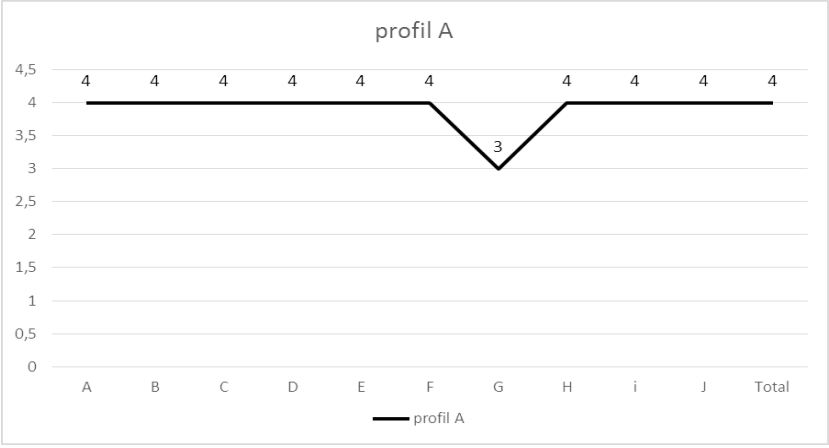

المصدر: (damain & fradin, 2006, p. 23)

4. تحليل النتائج:

1.4. تحليل نتائج:Traumaq

من خلال نتائج استبيان Traumaq توصلنا إلى منحنى (أنظر الشكل 1) يمثل مدى شدة الصدمة عند "نادين "، حيث أن السلم A والذي يمثل الأعراض المباشرة عند وقوع الحادث ارتفع إلى غاية 4 درجات من 5 ، حيث عانت الحالة من خوف وقلق شديدين مصحوب بتظاهرات جسمية تمثلت في تسارع ضربات القلب و ارتفاع الحرارة حيث أشار Sanfordأن القلق هو مشاعر معممة للخوف وترقب حدوث الشر، وهكذا بالنسبة للسلم B الذي يعبر عن إعادة المعايشة للحدث الذي ارتفع إلى 4 درجات، فالحالة تعاني من كوابيس مرعبة حيث أن الفرد المصدوم يعايش في نومه بطريقة جد واضحة صورة الصدمة في شكل كوابيس مفزعة، أما بخصوص الأعراض النور إعاشية المرتبطة بالنوم خاصة والذي يمثلها السلم C هي أيضا في نفس مستوى الأعراض السابقة، حيث قالت الحالة «لا استطيع النوم بمفردي، و اشعر بأنني لا أنام أصلا»، وهذا ما تحدث عنهKhiati فالفرد الذي يتعرض لصدمة نفسية عادة ما يكون حذرا ومتيقظا كل الوقت، والسلم D الذي يمثل

الأعراض التجنبية وصل إلى غاية 4 درجات، حيث تقول الحالة أنها : "منذ ذلك الحادث و بعدما غيرنا مكان سكننا لم أعد أريد الذهاب إلى تلك المنطقة بتاتا" فهي تتجنب تلك الطريق، و تتجنب أي موضوع أو موقف يجعلها تتذكر ذلك الحدث، أمّا المعيارE و F اللذان يعبران عن العدوانية وبعض المشاكل الجسمية، فالحالة أصبحت عدوانية، وتثار لأبسط الأشياء أمّا المشاكل الجسدية فهي تعاني من نقص كبير في الوزن، أرق، صداع، فالسلمان اتخذوا 4 درجات ، فمن خلال المنحنى نلاحظ أن درجات السلالم تتراوح مابين [4- 3] وهذا يدل على وجود **تناذر نفسو صدمي شديد** عند الحالة " نادين ".

2.4. تحليل عام للحالة:

من خلال المقابلات النصف موجهة مع الحالة و استبيان traumaq تبين أنّ الحالة تعاني من **إجهاد ما بعد الصدمة شديد** من جراء الحدث الذي عاشته، الذي هدد كيانها الجسدي و النفسي و هذا ما أكده فرنكزي ferenczi بقوله "أن الصدمة تتضمن انهيار الشعور بالذات و القدرة على المقاومة و السلوك و التفكير بهدف الدفاع عن النفس، أي أن الأعضاء التي تضمن الحفاظ على الذات تضمحل أو تقلل من وظيفتها إلى أقصى حد ممكن". (سي موسي و زقار، 2002، ص. 73) و هذا ما لوحظ أيضا من خلال المقابلات مع الحالة حيث قالت في تلك الأثناء كانت تشعر و كأنها تقف هناك بعيدا و تشاهد في هذا المنظر، و تضيف أنها أحست أنها مقيدة و لم تستطع فعل شيء و أن كل شيء توقف في تلك اللحظة، فعلى الصعيد النفسي ظهرت على الحالة مشاعر الذنب و العار و الخوف. كما اتفق الكثير من الكتاب من بينهم يهودا و ماك فارلين(yehuda,macfarlane) أن تطوير اضطراب الإجهاد ما بعد الصدمة يعود لتداخل عدة عوامل متكاملة منها العضوية و الاجتماعية و الاقتصادية و النفسية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالصدمة التي يتعرض لها الفرد، فتشخيص اضطراب الإجهاد ما بعد الصدمة يتوقف على عاملين أساسيين هما: العامل الموضوعي و العامل الذاتي الشخصي، (ماهر عمر، 2007، ص. 50) و هذا ما سبب تأزم وضع الحالة حيث عاشت صدمتين في نفس الوقت، الاغتصاب و معرفة أنها متبناة، و هذا ما أدى لظهور إجهاد ما بعد الصدمة بكل معاييره بالإضافة لبعض الأعراض الأخرى التي تعود لخصوصية هذه المرحلة منها تدني التحصيل الدراسي، الإحباط و عدم الرغبة في الدراسة، الانطواء و قطع العلاقة مع جميع صديقاتها، سلوكات عدوانية.

5. خاتمة:

يعد الاغتصاب من بين الأحداث التي تمس كيان الفرد و تخدش نفسيته و تخلف عدة أثار سلبية و يمكن أن تطور لاضطرابات نفسية معقدة مثل ما هو موجود عند الحالة المدروسة هنا، غير أن هناك من يتلقى دعم اجتماعي و النفسي في وقت مبكر من طرف أخصائيين يمكنه من تجاوز هذه الصدمة و العودة للحياة الطبيعية، و بهذا الصدد نقترح و إنشاء خلايا إصغاء للتكفل و التدخل المبكر للتخفيف من حدة الأعراض، إنشاء مراكز في كل منطقة خاصة بفئة المغتصبات لاحتوائهم في الوقت المناسب.

6. قائمة المراجع:

أولا: مراجع اللغة العربية

- راجا شيلا. (2019). دليل علمي تكاملي لعلاج الصدمة النفسية و اضطرابات كرب ما بعد الصدمة. (محمد نجيب أحمد الصبوة، المترجمون) مكتبة الانجلو المصرية: مصر.
- ربيع محمد شحاتة. (2009). قياس الشخصية (الإصدار 2). عمان: دار المسيرة.
- عبد الرحمان سي موسي، و رضوان زقار. (2002). الصدمة و الحداد عند الطفل و المراهق. الجزائر: جمعية علم النفس و اليونسف.
- فضيلة عروج. (2016-2017). دراسة نفسية عيادية لحالة الإجهاد ما بعد الصدمة للعازبات المبتورات الثدي من جراء السرطان . جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، الجزائر: أطروحة دكتوراه.
- محمد حسن غانم، و آخرون. (2011). أسس الصحة النفسية. جدة: خوارزم العلمية.
- محمود ماهر عمر. (2007). التعامل مع الصدمات النفسية رؤية تحليلية. مصر: أكاديمية ميتشيجان للدراسات النفسية .

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- *crocq, l. (2012). 16 leçons sur le trauma. paris: obile jacob.*
- *crocq, l., & autres. (2007). traumatique psychique prise en charge psychologique des victime . paris: elsevier massom SAS.*

- *damain, c., & fradin, m. p. (2006). manuel traumaq questionnaise d'évaluation du traumatisme. centre de recherche d'edition et d'applications psychologiques.*
- *kédia, m., & autres. (2008). psycho-traumatologie. paris: donod.*